بسم الله الرحمن الرحيم

العَلاقَةُ بَيْنَ الفَرْدِ وَالمُجتَمَعِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَ بِالوَحْدَةِ وَالوِفَاقِ، وَنَهَى عَنِ التَّشَتُّتِ وَالشِّقَاقِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا التَّحَلِّيَ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَ بِبَذْلِ المَعْرُوفِ وَالنَّدَى، وَنَهَى عَنِ القَطِيعَةِ وَالأَذَى، وَوَعَدَ المُحْسِنِينَ بِالفَوْزِ أَبَدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، جَمَعَ اللهُ بِهِ الشَّتَاتَ، وَرَبَّى عَلَى يَدَيْهِ خَيْرَ الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ، وَأَشَادَ بِمَنْهَجِهِ أَرْوَعَ الحَضَارَاتِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَاهُ، وَالعَمَلِ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، وَامتِثَالِ مَرَاشِدِهِ وَهُدَاهُ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]، وَاعلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَنَّ خِطَابَ الإِسْلامِ فِي جَانِبِهِ العَقَدِيِّ، وَأَمْرِهِ التَّشْرِيعِيِّ، وَتَوْجِيهِهِ الخُلُقِيِّ، جَاءَ مُغَذِّيًا لِرُوحِ الانْتِمَاءِ إِلَى الجَمَاعَةِ، مُحَذِّرًا مِنَ الفُرقَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّنَاعَةِ، فَهُوَ يُخَاطِبُ المُكَلَّفِينَ بِصِيغَةِ الجَمْعِ، فِي الأَمْرِ وَالنَّدْبِ وَالمَنْعِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، إِنَّ الخِطَابَ الإِلَهِيَّ، بِمَا فِيهِ مِنْ تَوْجِيهٍ جَمَاعِيٍّ، يُشْعِرُ الفَرْدَ بِأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الجَمَاعَةِ، يَجِبُ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى مَصْلَحَتِهَا بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنَ استِطَاعَةٍ، فَلا مَكَانَ لِلأَنَانِيَّةِ وَالفَرْدِيَّةِ فِي الإِسْلامِ، بَلْ هُوَ يَدْعُو إِلَى الإِيثَارِ، وَيَجْعَلُهُ صِفَةً مُمَيِّزَةً لِلْمُتَّقِينَ الأَخْيَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3]، لَقَدْ حَصَرَ الإِسْلامُ الفَلاحَ لِمَنْ تَغَلَّبَ عَلَى فَرْدِيَّةِ نَفْسِهِ، وَتَعَمَّقَتْ رُوحُ الجَمَاعَةِ فِي مَشَاعِرِهِ وَحِسِّهِ، فَلا يَبْخَلُ عَلَى إِخْوَانِهِ بِمَا يَجِدُ، وَلا

(١) سورة النساء / ١ .

(٢) سورة آل عمران / ٢٠٠ .

(٣) سورة الحشر / ٩ .

يَسْـتَأْثِرُ بِالخَيْرِ وَيَنْفَرِدُ، بَلْ يَرَى التَّوَاصُلَ مَعَ المُجتَمَعِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالعَطْفَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالمُحتَاجِينَ مِنَ البِرِّ وَالإِحْسَانِ، يُؤْثِرُهُمْ بِمَا لَدَيْهِ، وَيَعُدُّ ذَلِكَ مِنَ الوَاجِبِ عَلَيْهِ، رَغْبَةً فِي رِضْوَانِ اللهِ إِنْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، لِيَكُونَ مِمَّنْ مَدَحَهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ، إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[1]، وَكَيْفَ لا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ عَلِمَ أَنَّ القَطِيعَةَ مَعَ المُجتَمَعِ مِنْ ضُرُوبِ الإِفْسَادِ، تُورِثُ فَاعِلَهَا الطَّرْدَ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّ العِبَادِ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ، أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[2].

إِخْوَةَ الإِيمَانِ:

حَتَّى تَقْوَى العَلاقَةُ الاجتِمَاعِيَّةُ بَيْنَ المُسلِمِينَ، وَيَكُونُوا إِخْوَةً مُتَآلِفِينَ، وَأَفْرَادًا عَلَى الخَيْرِ مُجْـتَمِعِينَ؛ شَرَعَ اللهُ عِبَادَاتٍ تَجْمَعُ الشَّمْـلَ، وَتَصُونُ المُجتَمَعَ مِنَ التَّصَدُّعِ وَالخَلَلِ، فَأَبْـنَاءُ الحَيِّ الوَاحِدِ يَجْـتَمِعُونَ يَوْمِيًّا خَمْسَ مَرَّاتٍ، لأَدَاءِ الصَّلاةِ وَصُنُوفِ الطَّاعَاتِ، يَتَفَقَّدُونَ أَحْوَالَ بَعْضِهِمْ، وَيَشْعُرُونَ بِتَخَلُّفِ مَرِيضِهِمْ، وَيُحِسُّونَ بِعَجْـزِ عَلِيلِهِمْ، وَيُشَاهِدُونَ أَثَرَ الإِعْسَارِ فِي فَقِيرِهِمْ، فَتَتَحَرَّكُ هِمَمُهُمْ إِلَى الإِحْسَانِ وَالعَطَاءِ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي الرُّقِيِّ بِحَالِ الفُقَرَاءِ، وَيَسْعَونَ فِي عِلاجِ المَرْضَى وَأَهْـلِ العَنَاءِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3]، ثُمَّ يَتَوَسَّعُ اللِّقَاءُ فِي الجُمُعَةِ الغَرَّاءِ، فَيَشْمَلُ القُرَى المُتَقَارِبَةَ وَالأَحْيَاءَ، فَيَزْدَادُ التَّآلُفُ وَالتَّعَارُفُ وَاللِّقَاءُ، مَعَ الذِّكْرِ وَالوَعْظِ وَالصَّلاةِ وَالدُّعَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، ثُمَّ تَتَطَوَّرُ الاجتِمَاعَاتُ، وَتَنْتَقِلُ إِلَى تَهْـذِيبِ الأَمْوَالِ وَتَزْكِيَتِهَا بِالصَّدَقَاتِ، حِينَ يَجْـتَمِعُ المُسلِمُونَ فِي العِيدَيْنِ، وَيَنْهَمِرُ الجُودُ بِمَا فِي اليَدَيْنِ،

---

(١) سورة الإنسان / ٨-١٠ .

(٢) سورة محمد / ٢١-٢٢ .

(٣) سورة البقرة / ٤٣ .

(٤) سورة الجمعة / ٩-١٠ .

زَكَاةً وَاجِبَةً فِي عِيدِ الفِطْرِ، طُعْمَةً لأَهْـلِ الإِعْسَارِ وَالفَقْرِ، وَأَضَاحِيَ مُنْتَقَاةً فِي عِيدِ النَّحْرِ، تَتَنَاغَمُ الأَمْصَارُ فِيهَا مَعَ مَشَاهِدِ الاجتِمَاعِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ الأَكْبَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾(١).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ لِلْفَرْدِ فِي الإِسْلامِ حُقُوقًا عَلَى جَمَاعَتِهِ، تَبْدَأُ مِنْ أَهْـلِهِ وَأُسْرَتِهِ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ مَسْؤُولِيَّـتُهَا إِلَى مُجتَمَعِهِ وَأُمَّـتِهِ، وَهِيَ حُقُوقٌ يَتَحَمَّـلُ الجَمِيعُ مَسْؤُولِيَّـتَهَا وَرِعَايَتَهَا، إِنْ أَدَّاهَا مَنْ عَلَيْهِ وَجَبَتْ؛ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَإِنْ لَمْ يُؤَدِّهَا؛ وَجَبَ عَلَى الأُمَّـةِ حَمْـلُهُ عَلَى أَدَائِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾(٢)، وَجَاءَ التَّشْدِيدُ فِي التَّعَدِّي عَلَى حَقِّ الفَرْدِ وَلا سِيَّمَا عِنْدَمَا يَكُونُ ضَعِيفًا، وَذَلِكَ لِيَبْـقَى المُجتَمَعُ المُسلِمُ مُتَرَابِطًا مُتَآلِفًا، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(٣)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: اليَتِيمِ وَالمَرْأَةِ))، وَمَعْـنَى أُحَرِّجُ: أُضَيِّـقُ وَأُشَدِّدُ عَلَى مَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا. أَلا وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ حُقُوقِ الفَرْدِ رِعَايَتَهُ مَعْـنَوِيًّا، وَإِشْعَارَهُ بِمَا يَزِيدُهُ تَقَدُّمًا وَرُقِيًّا، فَلا يُعَابُ بِنَقْصٍ فِي خَلْقِهِ، وَلا يُلْمَزُ إِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي رِزقِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٤)، اللهُ أَكْبَرُ، مَا أَعْـظَمَ هَذِهِ الرِّعَايَةَ لِلْمَشَاعِرِ، الَّتِي يَحْرِصُ عَلَيْهَا أَفْرَادُ المُجتَمَعِ المُؤْمِنِ الطَّاهِرِ، وَلِذَلِكَ نَهَى سُبْحَانَهُ عَنِ السُّخْرِيَةِ بِالآخَرِ، إِذْ مَا يَدْرِي ذَلِكَ السَّاخِرُ، لَعَلَّ أَخَاهُ عِنْدَ اللهِ أَكْثَرُ خَيْرًا، وَأَعْـظَمُ مَقَامًا وَأَجْرًا، قَالَ جَلَّ فِي عُلاهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ

---

(١) سورة الحج / ٢٨ .

(٢) سورة المائدة / ٢.

(٣) سورة النساء / ١٠ .

(٤) سورة التوبة / ٧٩ .

مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ وَلَا نَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١)، مَا أَعْظَمَهُ مِنْ زَجْرٍ وَوَعِيدٍ، لِكُلِّ مُستَهْزِئٍ عَنِيدٍ، فَالَّذِينَ يَعْتَدُونَ عَلَى مَشَاعِرِ النَّاسِ، أَبْعَدُ مَا يَكُونُونَ عَنِ المَشَاعِرِ وَالإِحْسَاسِ.

أَيُّهَا المُؤمِنُونَ:

لَقَدْ لَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حُقُوقَ الفَرْدِ عَلَى بَقِيَّةِ أَفْرَادِ المُجتَمَعِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((حَقُّ المُسلِمِ عَلَى المُسلِمِ سِتٌّ)) قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا استَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))، فَهَذِهِ الحُقُوقُ تَجِبُ لِكُلِّ فَرْدٍ فِي المُجتَمَعِ، وَأَمَّا حُقُوقُ الجَمَاعَةِ عَلَى الفَرْدِ، فَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ، وَأَوْسَعُ مِنْ أَنْ تُحْصَى وَتُحَدَّ، وَأَهَمُّهَا تَقْدِيمُ المَصْلَحَةِ العَامَّةِ عَلَى مَصْلَحَةِ الفَرْدِ مَهْمَا كَانَتْ فِي نَظَرِهِ مُهِمَّةً، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الإِسْلامُ كُلَّ اعتِدَاءٍ عَلَى المَرَافِقِ العَامَّةِ، وَلَوْ تَحَجَّجَ فَاعِلُهَا بِشَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِهِ الخَاصَّةِ، كَالاعتِدَاءِ عَلَى مَرَافِقِ الطُّرُقِ وَالمَسَاجِدِ وَمَجَارِي السُّيُولِ وَمَصَادِرِ المِيَاهِ، وَقَد تَوَعَّدَ اللهُ كُلَّ مُفْسِدٍ لِمَصَالِحِ العِبَادِ، مُخَرِّبٍ لِمُقَدَّرَاتِ المُجتَمَعِ وَالبِلادِ، فَقَالَ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾(٢).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ حِينَ خَلَقَ المَعْرُوفَ أَنْ خَلَقَ لَهُ أَهْلاً فَحَبَّبَهُ إِلَيْهِمْ وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ إِسْدَاءَهُ، وَوَجَّهَهُمْ إِلَيْهِ كَمَا وَجَّهَ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ المَيْتَةِ فَتَحْيَا بِهِ وَيَحْيَا بِهِ أَهْلُهَا، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ خَيْرًا جَعَلَ قَضَاءَ حَوَائِجِ النَّاسِ عَلَى يَدَيْهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَ تَعَلُّقُ النَّاسِ بِهِ، فَإِنْ قَامَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ للهِ فِيهَا؛ فَقَدْ شَكَرَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا، وَإِنْ قَصَّرَ وَمَلَّ وَتَبَرَّمَ فَقَدْ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ، ثُمَّ انصرَفَتْ وُجُوهُ النَّاسِ عَنْهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((إِنَّ للهِ عِبَادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ، يُقِرُّهُمْ

(١) سورة الحجرات / ١١ .

(٢) سورة البقرة / ٢٠٥ .

فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ))، وَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوْعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ – وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ – مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ))، وَهَكَذَا نَجِدُ الإِسْلاَمَ يَغْرِسُ فِي نُفُوسِ أَتْبَاعِهِ حُبَّ الخَيْرِ لِلآخَرِينَ، وَالتَّنَافُسَ فِي خِدْمَةِ عِبَادِ اللهِ أَجْمَعِينَ، وَالحِرْصَ عَلَى مَا يُصْلِحُ الوَطَنَ وَيُسْعِدُ المُوَاطِنِينَ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَأَدُّوا مَا عَلَيْكُمْ تِجَاهَ بَعْضِكُمْ، وَصُونُوا حُقُوقَ أُمَّتِكُمْ، وَاحمُوا مُكْتَسَبَاتِ أَوْطَانِكُمْ؛ تَنَالُوا رِضَا رَبِّكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي بِطَاعَتِهِ تَطِيبُ الحَيَاةُ، وَبِالتِزَامِ هَدْيِهِ تَحْصُلُ النَّجَاةُ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنْ بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأَلَّفَ بِدَعْوَتِهِ بَيْنَ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

بِأَدَاءِ حُقُوقِ الفَرْدِ وَالجَمَاعَةِ تَسُودُ المَوَدَّةُ، وَتَقْوَى الأُلْفَةُ، وَيَسْعَدُ بِذَلِكَ النَّاسُ، وَيَرتَفِعُ الضَّرَرُ وَالبَأْسُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[1]، وَجَاءَ فِيمَا رُوِيَ مِنَ السِّيَرِ، وَمَا سُطِّرَ مِنْ رَوَائِعِ الأَثَرِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ اتَّخَذَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ قَاضِيًا عَلَى المَدِينَةِ، يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ إِذَا اختَلَفُوا، فَمَا أَتَاهُ أَحَدٌ شَاكِيًا عَامًا كَامِلاً، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَطْلُبُ إِعْفَاءَهُ، فَسَأَلَهُ عَنِ السَّبَبِ فَقَالَ: ((مَا

(١) سورة الأنعام / ٨٢ .

حَاجَتِي إِلَى قَوْمٍ عَرَفَ كُلٌّ مِنْهُمُ الَّذِي عَلَيْهِ فَأَدَّاهُ، وَعَرَفَ الَّذِي لَهُ فَلَمْ يَتَجَاوَزْهُ))، اللهُ أَكْبَرُ، هَكَذَا كَانَتِ الحُقُوقُ مَصُونَةً فِي ذَلِكَ المُجتَمَعِ الطَّاهِرِ، فَبِأَدَاءِ الحُقُوقِ تَتَقَلَّصُ الحَاجَةُ إِلَى المَحَاكِمِ، وَيَنْحَسِرُ الاعتِدَاءُ وَالمَظَالِمُ، فَلا يَطْمَعُ فَقِيرٌ فِي مَالِ غَنِيٍّ؛ لأَنَّهُ أَخَذَ حَقَّهُ مِنْهُ بِالزَّكَاةِ، بَلْ يَدْعُو اللهَ أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١)، نَعَمْ، إِنَّ أَدَاءَ الحُقُوقِ طَهَارَةٌ وَتَزْكِيَةٌ لِلأَفْرَادِ وَالمُجتَمَعَاتِ، وَسَبَبٌ لِتَنَزُّلِ الرَّحَمَاتِ وَالبَرَكَاتِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ فَهُوَ سَبَبٌ لِلْعَدَاوَةِ وَالشِّقَاقِ، وَمُعَوِّقٌ لِمَسَاعِي الإِصْلاحِ وَالوِفَاقِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَأَدُّوا وَاجِبَاتِكُمْ، وَأَحْسِنُوا أَخْذَ حُقُوقِكُمْ؛ يُؤَلِّفِ اللهُ بَيْنَكُمْ، وَتَسْعَدُوا فِي حَيَاتِكُمْ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

---

(١) سورة التوبة /١٠٣ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَاننَا وَأَعِزَّ سُلْطَاننَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.